مجلة أنساق للفنون والآداب والعلوم
الإنسانية
الإصدار الرابع عشر
المجلد (٥) العدد (١)
٢٠٢٤ (١٦١-١٧٠)

الدولة المرابطية: البداية و النهاية

د. ابراهيم لبصير

This work is licensed under a
Creative Commons Attribution-
NonCommercial 4.0
International License.

نشر إلكترونياً بتاريخ: ٤ مارس ٢٠٢٤م

لقد أصبح الغرب الاسلامي يعيش أضطرابا سياسيا و اجتماعيا، بعدما تهاوت سيطرة أمويي الاندلس و دالت امارة المغراويين الزناتيين، و بذلك اتجهت أنظار الناس الى فجر جديد وعهد سياسي، ينقذ هذه البقعة من العالم الاسلامي من الانزلاق في متاهات دينية مذهبية، ديانة بورغواطة في تامسنا و ديانة غمارة في شمال المغرب وتصاعد النفود الصليبي في الاندلس، اضافة الى الفوضى السياسية و الاجتماعية خاصة النزاعات القبلية، أملين أن يكون هذا الفجر مشرق المحيا واضح الجبين، حيث تواجدت ارهاصات تأكد أن المجتمع الذي عانى زهاء ثلاث قرون من ضعف الحكم و التمزق و انعدام الوحدة، وشك أن يتمخض عنه جنين جديد، لان المغاربة من طبعهم لا يستسلموا ولا يركنوا لليأس، بل علمتهم الحياة كيفية مجابهة التحديات ومطاردة الانتكاسات من أجل تجديد شرايين و أوردة هذه الامة بدماء جديدة.

كان هدا الفجر الذي تألق في الافق، هو الحركة الاصلاحية المالكية التي تزعمها أبو عمران الفاسي الزناتي بالمغرب أواخر عهد دولة أبناء عمومته مغراوة، والتي انتهت به الى مفارقة وطنه و اللجؤ الى افريقية، كانت هي البذرة الاولى لظهور المرابطين، فجل كتب التاريخ أجمعت على أن هذه الشخصية، كان لها ضلع في وضع اللبنات الاولى لهذه الدولة، بل كان هو الزعيم الروحي للثالوث الذي كون الاركان الاساسية لهذه الدولة: يحيى بن ابراهيم الكدالي، وجاج بن زللو اللمطي، عبد الله بن ياسين.

فأعضاء هذا الثالوث هم النخبة التي مثلت دولة المرابطين في بداياتها، فقد كان همهم الاول توحيد البلاد من الناحية المذهبية، في اطار اسلامي قائم على المذهب المالكي الداعي (الى الامر بالمعروف و النهي عن المنكر).

قبيلة صنهاجة هي احدى قبائل البرانس التي تشكل ثلث البرابرة المتواجدين في المغرب لاسيما في جنوب المغرب الاقصى حتى بلاد السودان، حيث سبق للصنهاجيين تأسيس دولة بني زيري في افريقية، وقام اللمتونيون الذين توارثوا الرئاسة في الصحراء، بنشر الدين الى تخوم السودان الغربي وظهر من بينهم (أبي عبد الله محمد بن تيفاوت) الذي خلفه يحيى بن ابراهيم لكدالي[1]، فمن المعروف تاريخيا أن يحيى رحل الى الشرق قصد الحج وفي طريق عودته عرج على القيروان حيث اتصل بالشيخ أبي عمران الفاسي، وطلب منه تزويده بفقيه يقوم بنشر تعاليم الاسلام في الصحراء المتعطشة الى المبادئ الدينية الصحيحية[2]، وبالفعل نجد أبا عمران يحيل يحيى على أحد المريدين بجبل نفيس (جنوب سوس الاقصى أي على المشارف الشمالية للصحراء)، وهو وجاج بن زللو اللمطي، الذي اختار لمساعدة يحيى بن ابراهيم لكدالي في هذه المهمة، أحد تلامذته وهو عبد الله بن ياسين الجزولي، مفضلا اياه لنضجه الفكري و العلمي ولكثرة تجاربه بسبب رحلاته العديدة في طلب العلم.

وبذلك انطلقت قافلة لكدالي و ابن ياسين الى الصحراء، وبعد نزول بن ياسين بصنهاجة سنة 430هـ، وجد فيها مناخا قابلا لنشر تعاليم الدين، وتصحيحه من الشوائب و المعتقدات، معتمدا على القران و السنة مستغلا بذلك الاعتقاد الراسخ في أذهان الصحراويين بكون الشرق مصدر النور و الهداية و البركة[3].

الا أن عبد الله لم يتقيد بكل تعليمات أبي عمران الدينية و الدنيوية، بل عمل على تكييفها وفقا لاحوال البيئة الصحراوية وأحوال الناس، حتى أصبح يتدخل في الشؤون الاجتماعية للسكان مما أوقد نار الثورة عليه فعزم الرحيل عنها الى بلاد السودان[4]، غير أن يحيى بن ابراهيم منعه من ذلك قائلا له: "انما أتيت بك لانتفع بعملك في خاصة نفسي...قال يحي هل لك في رأي أشيربه عليك ان كنت تريد الاخرة...ان هاهنا في بلادنا جزيرة في البحر...فندخل اليها..فأبتنيا بها رابطة وأقام بها مع أصحابه يعبدون الله تعالى مدة ثلاث أشهر...."[5]

فاتخذ هذا الرباط كمقر للتعبئة و المواجهة تحت نظام محكم، طبق فيه بن ياسين سياسته الاصلاحية التي شملت العبادة و التفقه في الدين والتدريب العسكري، وسرعان ما أدى هذا التكتيك العملي الى توافد أعداد كبيرة من المريدين باختلاف

[1] العزيز بن عبد الله: تاريخ المغرب العصر القديم والاوسط، مكتبة المعارف، الرباط، ص:100.
[2] أحمد خالد الناصري: الاستقصاء في أخبار المغرب الاقصى، تحقيق محمد عثمان، دار الكتاب العلمية الجزء2، الطبعة الاولى، بيروت2007، ص:7.
[3] ابن الشرقي حصري أحمد: ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، الجزء 1، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش،1986، ص27.
[4] الناصري: ج2، مصدر سبق ذكره، ص:2.
[5] ابن أبي زرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1973، ص:125.

انتماءاتهم القبلية، وبهذا فرض الرباط وجوده ونفوذه مما جعل أفراده يستعدون للمواجهة العسكرية.

فكانت أول نقطة استهدفها عبد الله بن ياسين هي منطقة أودغست سنة 446ه/1054م،اذ حققوا بها انتصارات على ملك غانا واستولوا على منافذ الذهب و التجارة، وقصد بعد ذلك كدالة التي انهزمت بين يديه و دخلت تحت طاعته، فدانت له سائر قبائل صنهاجة من لمتونة و مسوفة و جزولة ولمطة وهذا ما أكده ابن أبي زرع بقوله: "...فبدأ بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة الاف من المرابطين، فانهزموا بين يديه، فقتل منهم خلقا كثيرا، واسلم الباقون اسلاما جديدا، وحسنت حالهم....ثم سار الى قبائل لمتونة فنزل بهم وقاتلهم حتى ظهر عليهم، واذعنوا الى الطاعة...ثم سار الى قبائل مسوفة فغزاهم حتى اذعنوا وبايعوه على ما بايعته عليه قبائل لمتونة وكدالة، فلما رأى ذلك قبائل صنهاجة ولمتونة، سارعوا الى التوبة ومبايعته وأقروا له بالسمع و الطاعة..."[1]، وعلى اثر هذه الانتصارات التي حققها عبد الله بن ياسين، استنجد به أهل سجلماسة لانقادهم من تعسفات أميرهم مسعود الزناتي المغراوي وذلك سنة 447ه/1055م[2]، ومن المعلوم أن سجلماسة كانت تتجمع بها معظم القوافل المتجهة من شمال افريقيا الى بلاد السودان الغربي، فهي منطلق الطرق من الشمال، في حين مثلت أودغست مصب تلك الطرق جنوبا على مشارف بلاد السودان.

وبذلك دخلت المنطقة تحت لواء الحكم المرابطي، وبعد هذه المرحلة اتجه المرابطون شمالا حيث استولوا على الطرق التجارية التي كانت بيد الزناتيين، واجتازوا منطقة سوس الاقصى وبلاد ماسة، وتارودانت ثم جبل درن بعد استرضاء المصامدة، ووصل المرابطون الى أغمات حيث اتخذوها حاضرة لهم، بعد استلائهم على تادلة و هيلانة و هزميرة[3].

وبعد مصرع ابن ياسين في حربه مع بورغواطة بتامسنا سنة 451ه، أجمع المرابطون على اختيار أبي بكر بن عمر زعيما سياسيا ودينيا وجمع بين السلطتين بعدما كانت ثنائية في عهد بن ياسين. فتابع أبو بكر عمل بن ياسين في اخضاع باقي قبائل المغرب، فأخضع منطقة تامسنا لنفوذه والحقها بدولته، ثم اتخذ من اغمات قاعدة له في البداية، وفيها تزوج بزينب بنت اسحاق النفزاوية التي ستلعب دورا بارزا في الدولة المرابطية أيام يوسف بن تاشفين، ثم ارتحل الى موضع مراكش ليؤسس هناك عاصمته[4] ،الا أن ابا بكر لم يستقر طويلا ببلاد المغرب حيث اضطرته ظروف الصحراء المستجدة وذلك سنة 463ه، خاصة تمرد كدالة التي أظهرت العصيان الى الرجوع اليها مستخلفا ابن اخيه يوسف بن تاشفين لاتمام

[1] ابن أبي زرع: مصدر سبق ذكره، ص: 126
[2] نفسه، ص: 127.
[3] حسن أحمد محمود: قيام الدولة المرابطية صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة،1957، ص:186.
[4] ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ج4، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983، ص:20.

الفتوح ببلاد المغرب حيث توجه الى قتال من بها من قبائل مغراوة والقبائل البربرية الاخرى وكانت انطلاقته من سجلماسة حتى أغمات التي استقر بها[1].

لقد شعر يوسف بعد أن استتب له الامر بالحاجة الى اتمام بناء قاعدة تكون منطلق تحركاته في الوسط مابين الجنوب والشمال، وفعلا فقد اختط مدينة مراكش لتقوم بهذا الدور ومنها توجه نحو الشمال باتجاه فاس ففتح أحوازها بعد اخضاع كل من قبائل زواغة ولماية ولواتة. ولما قوي أمره وعظمت شوكته سنة 404ه،اشترى جملة من العبيد من السودان وبعث الى الاندلس فاشترى مجموعة من العلوج، وعلى هذا المنوال تابع يوسف بن تاشفين فتوحاته في بلاد المغرب الاقصى و الاوسط حتى داع سيطه، وانتشرت انتصاراته ووصلت أسماع المسلمين، المغلوبين على أمرهم في بلاد الاندلس، مما حذا بأمير اشبيلية المعتمد بن عباد باستدعائه للجواز برسم الجهاد وتخليص المسلمين من المسيحين[2]، فكانت بذلك معركة الزلاقة التي خلدت اسم يوسف و المغاربة في التاريخ الاسلامي و الاوربي على السواء، وحين قربت وفاته أوصى بابنه كولي للعهد والذي ستبدأ معه تطورات الدولة.

وبهذا يمكن القول بأن المرابطين قد تمكنوا لاول مرة من تكوين دولة عظمى موحدة الاطراف تجمع بين الشمال و الجنوب وبين الاندلس و المغرب الاقصى، هذه الوحدة التي مكنت من تطوير المجتمع المغربي. اذن ماهي انعكاسات هذه التطورات على الجانب السياسي و الاجتماعي و الاقتصادي و الثقافي.؟

*** الجانب الساسي**

من المعلوم أن الحكم المرابطي كان في بدايته مطبقا لمبدأ الشورى، أبي بكر أخيه يحي، غير أن هذه الوضعية قد تغيرت بصعود يوسف بن تاشفين الى الحكم و استخلافه لابنه علي في حياته وذلك سنة 495هـ و 496هـ، والذي تمت له البيعة في قرطبة من طرف جميع أمراء لمتونة وفقهائها و أشياخها[3]، وبعد وفاة يوسف بن تاشفين 500هـ، جددت البيعة لعلي بمراكش، ومن المؤكد أن بيعة المرابطين كانت تتم بمشورة من فقهاء وشيوخ لمتونة ومن أمراء مصمودة، كذلك استحضار مجموعة من الكتاب والشهود[4]، الا أنه تجدر الاشارة أن أمراء المرابطين قد اتخذوا لقب أمير المسلمين بدل لقب الخليفة لانهم كانوا يرون أنه من اختصاص الخليفة العباسي ببغداد[5]، ولقد لعب الفقهاء دورا أساسيا في انتقاء الالقاب التي حملها أمراء المرابطين، بشكل لا يجعلها تتعارض مع وحدة الدولة الاسلامية، حيث أن لقب " أمير المؤمنين" لم يطلق على أي أمير مرابطي، وكان أول لقب تسموا به هو ذلك الذي

[1] ابن أبي زرع: مصدر سابق، ص ص:128،129.
[2] حسن ابراهيم حسن: تاريخ الاسلام الديني والسياسي، الاجتماعي والثقافي، الجزء الرابع، ط2، مطبعة النهضة المصرية 1982: ص ص125،126.
[3] نفسه.
[4] مجهول: الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979، ص:16.
[5] مجهول: الحلل الموشية، مصدر سابق، ص ص:17، 18.

اطلقه ابن ياسين على يحيى بن عمر، فتسمى به، وهو " أمير الحق"[1]

أما فيما يرجع الى السلطة المرابطية و أمرائهم، فانها كانت سلطة تنفيذية تستمد قوتها من تشريعات مالك، وبتالي من فقهاء المذهب المالكي.

١– الوزراء: كان للمرابطين وزراء اقليميون مختصون بديوان الانشاء وكانوا تابعين للامراء المحليين بالاندلس[2]، أما الوزراء المركزيون فيقيمون بعاصمة الدولة مراكش، فأغلبية وزرائهم كانوا من الاندلس كوزراء تاشفين بن علي، مثل بنتيان بن عمر و ابنه اسحاق[3] و السبب في ذلك خبرة هؤلاء في الجانب السياسي خاصة و أن أغلبهم عمل الى جانب ملوك الطوائف وعرفوا من خفايا الامور بالاندلس ماكان المرابطون يجهلونه. ولقد كان اختيار الوزراء يقوم كما هو في العالم الاسلامي، على كفائتهم في الميدان الادبي وقدراتهم على انشاء المراسلات البليغة باسم امير المسلمين، ومن اشهرهم ابن عبدون وابن عطية وهم من كبار الادباء قبل كل شيء.

٢– الولاة: كان الولاة من المغرب والاندلس يعينون من لمتونة خاصة وصنهاجة عامة، وكان ينوب على أمير المسلمين أمير من الاسرة المالكة أو من لمتونة مثل علي بن يوسف و تاشفين بن علي و ابراهيم بن تاشفين وسلطة النائب كانت عسكرية و سياسية على السواء.

٣– العمال: كانو تحت سلطة النائب حيث يتمتعون بنفوذ عظيم في عمالاتهم أما سلطتهم فكانت واسعة تعطيهم حق التصرف في عزل أو تعيين الولاة، وكذلك القيام بالتحركات العسكرية داخل مناطق نفوذهم، وكانوا يحيطون أنفسهم بمجموعة من الكتاب الذين عملوا فيما بعد في خدمة الامراء مثل: عبد المجيد بن عبدون الذي كان كاتبا لسير بن أبي بكر ثم أصبح كاتبا لعلي بن يوسف.

٤– القضاء: للقضاة أهمية قصوى في العهد المرابطي فأغلبهم كانوا من كبار العلماء كالوليد ابن رشد، وابن حميدين بالاندلس، وعياض السبتي اليحصبي، وعبد الملك المصمودي بالمغرب، وكانت سياسة المرابطين في تعيين قضاتهم لا ترتكز على أي عصبية قبلية، ولقد وجد المرابطون أسس قوية يرتكزون عليها في تنظيم القضاء سواء بالاندلس والمغرب باتخاذهم لكثير من النظم القضائية الاموية و تطبيقها في أحكامهم.

غير أن المرابطين منحوهم رتبة عظيمة حتى كثرت أموالهم واتسعت مكاسبهم فأصبحوا يتدخلون في اختيار العمال وعزلهم، كما فعل ابن رشد عندما طلب عليا بعزل أخيه تميم من نيابة الاندلس[4].

٥– الجيش: كان في البداية يتكون من المرابطين، ومع تطور الدولة سياسيا واتساعها جغرافيا ادخل اليه الصقالبة و الاعلاج والسودان، وعناصر من مسيحي اسبانيا مثل

[1] ابن عذاري: مصدر سبق ذكره، ص:12.
[2] عبد الواحد المراكشي: المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ط7، دار الكتاب، الدار البيضاء،1978، ص:164.
[3] مجهول: الحلل الموشية، مصدر سابق، ص:99.
[4] مجهول: الحلل الموشية، مصدر سابق، ص:80.

الربرتيرالذي قتل في حربه مع الموحدين. أما قيادة الجيش كانت في المستوى الاعلى لامير المسلمين أو نائبه و كان الامير لا يشارك بنفسه في الحرب بل يوجهها من بعيد، فيوسف ابن تاشفين لم يفتح سبتة، بل أرسل الى حصارها ابنه المعز[1].

* **الجانب الاجتماعي**

١- حياة الامراء: لقد أجمع المؤرخون على أن الحياة الاجتماعية في عهد المرابطين عرفت عدة تغيرات عما كانت عليه من قبل، حيث أصبح المرابطون يعيشون حياة الترف سواء في الاندلس أو المغرب وبذلك شيدت القصور الجميلة و الابنية الفخمة بحدائقها الغناء ونوافرها البديعة .

٢- حياة السكان: كان البربر يشكلون أقلية قليلة في بلاد الاندلس قبل المرابطين، الا أنه اثر قيام دولة الملثمين أصبح لهذه الطائفة دورا فعالا واندماج كبير في المجتمع و أصبحوا يزاولون التجارة و الزراعة و الصناعة و أعمال أخرى، وهكذا عرف السكان في ظل الحكم المرابطي حياة الرخاء و الاستقرار، حيث وصف الادريسي حياتهم هذه من خلال تطرقه للحديث عن مدينة فاس ومكناس[2].

٣- وضعية أهل الذمة: لقد تأثر أهل الذمة بالاوضاع التي أضحت عليها البلاد في ظل الحكم المرابطي حيث حربوهم، وذلك بأمر من فقهاء الدولة، وبهذا أصبح أهل الذمة في موقف ضعف أمام المد المرابطي خاصة اليهود الذين عاشوا شبه منعزلين عن المسلمين، اذ منع عليهم علي السكن بمراكش، فكانوا لا يدخلونها نهارا[3].

٤- وضعية المرأة: ان المرأة الصنهاجية لما نزحت الى المغرب و الاندلس حافظت على مكانتها الرفيعة مثل زينب النفزاوية كما شاركت كثير منهن في الحياة العلمية و الادبية كحواء بنت تاشفين بن علي التي وصفها ابن عذاري بأنها كانت، "...أديبة شاعرة جليلة ماهرة..."[4]، و تميمة بنت يوسف بن تاشفين، ونتيجة لمشاركة المرأة الرجل في معظم الاشغال التي كانت سائدة وقتها، فانها كانت تشاركه في الثروة، وهذا ما ذكره ابن حوقل[5] عن احدى النساء الصنهاجيات، أنها كانت تمتلك بمفردها 15000 رأس من الابل، وبالتالي فان الدور الهام الذي كانت المرأة الصنهاجية تلعبه في مجتمع الملثمين، مكنها من أن تحصل على أهم ومعظم الحقوق التي يتوفر عليها الرجال، ما دامت الواجبات التي تقوم بها و الاعباء التي تتولاها لا تقل أهمية عن واجباته، فكانت تشارك في اتخاذ القرار المتعلق بالامور العامة عن طريق حضورها في مجلس القبيلة[6]، ونتقلت معهم هذه العادة الى المناطق التي استولوا عليها، ففي المغرب مثلا يقول عنهم عبد الواحد المراكشي: "...واستولى النساء على الاحوال، واسندت اليهن الامور، وصارت كل امرأة من

[1] ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، الجزء 1، الطبعة1، دار السلمي، الدار البيضاء، 1965، ص 248.
[2] نفسه، ص :131.
[3] الادريسي أبو عبد الله: نزهة المشتاق في اختراق الافاق، الجزء الخاص بالقارة الافريقية وجزيرة الاندلس، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص :52.
[4] ابن عذاري: مصدر سابق، ج4، ص 57.
[5] ابن حوقل: صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979، ص97.
[6] حسن احمد محمود، مرجع سابق، ص52.

أكابر لمتونة ومسوفة مشتملة على كل مفسد وشرير.."[1] كما أنهم كانوا يخرجن سافرات بخلاف رجالاهم الملثمين، وقد حدث أن المهدي بن تومرت في بدء ظهوره وجد أخت علي بن يوسف في أحد أزقة مراكش، وهي سافرة مع جماعة من الجواري فوبخها على سفورها وضرب هو وأصحابه دواب المواكب حتى سقطت أخت علي عن دابتها[2].

ويمكننا تفهم هذا النفوذ و الادوار التي كانت المرأة تلعبها في المجتمع الصنهاجي، خصوصا اذا عرفنا أن النظام الامومي كان سائدا بين الصنهاجيين، و لم يتم القضاء عليه الا بعد ترسيخ الاسلام في نفوس افراد المجتمع، وفي هذا يقول النويري: "...وكذلك جميع الملثمين ينقادون لامور نسائهم، ولا يسمون الرجل الا بأمه، فيقولون ابن فلانة ولا يقولون ابن فلان....."[3]، وقد استمرت هذه العادة في بداية عهد المرابطين، حيث نجد أن بعض كبار قادتهم اتخذوا أسماء أمهاتهم القابا لهم، كابن عائشة، وابن غانية

٥- الجانب الاقتصادي: بعدما تم توحيد البلاد سياسيا وقع اندماج بين المناطق الساحلية والمناطق الفلاحية بداخل البلاد، ونتشرت المعطيات الحضارية في المغرب، فساعد ذلك على ازدهار التجارة على الصعيد الداخلي و الخارجي، فنشطت الطرق التجارية الرابطة بين السودان والمغرب ثم الاندلس، بفضل سيادة الامن و الاستقرار وكثرة الموارد و منتجات السودان في الشمال، ثم تكاثرت المدن، المراكز التجارية، ومن بينها أوداغست، سجلماسة،نول،المرية بالاندلس[4].

ومن العوامل التي ساعدت على تنشيط التجارة مايلي:-

أ- نمو البحرية المرابطية بالبحر الابيض المتوسط الى أن اصبحت تنافس المدن الايطالية.

ب- الغاء المكوس من طرف الدولة و الاكتفاء بالزكاة والاعشار فكانت النتيجة الحتمية لهذا النشاط ارتفاع قيمة الدينار المرابطي حتى كاد أن يصبح عملة دولية، كما ساهمت غارات القبائل الهلالية في افريقية الى تهديد القوافل التجارية مما جعل خطوط التجارة ترتكز في المغرب الاقصى.

ج- الفلاحة: عرفت هي الاخرى توحيد مجالها، حيث أصبح السكان يزاولون الزراعة مستقرين في أراضيهم بعدما كانوا رحلا ينتجعون وراء المواشي مما أعطى انتاج أوفر ساهم بدوره في رفع من مستوى معيشة الفلاح، وبتالي تخفيظ الضرائب و المكوس واكتفاء امير المسلمين بالرسوم الشرعية. أما الاندلس فلقد عرفت عملية غرس الاشجار حيث يذكر رينو أن المغاربة استتمروا شجرة البلوط، وما تزال في بروفانس غابة تسمى بغابة المغاربة[5].

د- الصناعة: لقد ازدهر الصناعة بقدر ما ازدهر الزراعة، حيث توفرت المواد الخام (سباخ الملح الحجري، العنبر،

[1] المراكشي: المعجب، مصدر سابق، ص260.
[2] ابراهيم حركات: المغرب عبر التاريخ، مرجع سابق، ص233.
[3] النويري أحمد بن عبد الوهاب: نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق وتعليق أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص 385
[4] احمد محمود حسن: قيام الدولة المرابطية، مرجع سابق، ص399.
[5] حسن السائح: الحضارة المغربية عبر التاريخ، الجزء1، دار الثقافة،1975، الدار البيضاء، ص172.

الصمغ العربي، جلود الماعز و الدرق اللمطي، الذهب، الرقيق، العاج...)، وتدفقت في الاسواق الاندلسية و السودانية، وأصبح من اسهل تصديرها الى الاسواق الخارجية وبالتالي الرفع من الانتاج بواسطة التجارة، فظهرت بذلك مراكز صناعية جد مهمة، مثل نول لمطة التي اشتهرت بصناعة الجلد والمنسوجات، ومراكش التي عرفت بصناعة المغازل والصابون.

٦- الجانب الثقافي

لقد تميزت الحياة الثقافية المرابطية بأنها تجمع بين الثقافة المغربية والثقافة الاندلسية، ففتح الاندلس كان له الاثر الاكبر على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية، كما سبقت الاشارة الى ذلك، فالحياة الثقافية لقيت عناية بالغة من لدن أمراء المرابطين الذين عملوا على استقدام أعلام الفقهاء و العلماء والاطباء والفلاسفة[1]، للاستفادة من علومهم ومجالسهم، كما عملوا أيضا على بعث الطلبة المغاربة الى الاندلس لمجالسة فقهائها وعلمائها، وبهذا ازدهرت الحياة الثقافية والعلمية عند المرابطين.

*** انهيار الدولة المرابطية**

فعلا استطاعت الدولة المرابطية تكوين دولة عظمى مترامية الاطراف ان لم نقل امبراطورية، حققت وحدة المغرب والاندلس على السواء، اذا ارتكزت على مسلسل اصلاحي يعتمد على المذهب المالكي كاديولوجية، غير أن هذه الدولة لم تعمر طويلا، حيث ظهر على مسرح الاحداث قوة جديدة اتخذت نفس السلاح، الذي اعتمده المرابطون، كمنطلق لاقامة دولة جديدة، الموحدين الذين، أخذوا على المرابطين ابتعادهم عن أصول الدين وانغماسهم في الفروع، العبادات والمعاملات، لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو: هل انهيار المرابطين جاء كنتيجة لظهور هذه القوة السياسية الجديدة؟، أم هناك أسباب وعوامل أخرى؟.

فبتولية علي بن يوسف للحكم بدأت تظهر بوادر الانشقاق و التمزق في كيان الدولة، فكان اول حدث وقع في عهده كان له أثر عميق هو احراق كتاب "احياء علوم الدين" للغزالي، ويقول ابن عذاري على لسان ابن القطان في كتاب النظم الجمان: "وان هذا الحدث وقع في اول عام 503هـ"[2].

لقد حظي الغزالي بمكانة عظيمة عند يوسف ابن تاشفين، حيث كان يفتيه ويستفتيه في امور البلاد بصفته عميد فقهاء المشرق ومن ذلك أنه استفتاه في خلع ملوك الطوائف[3]، كما كان الغزالي بدوره يقدر يوسف بن تاشفين، حتى قيل أنه اعتزم المجيء الى المغرب لرؤياه، الا أن موت يوسف حال دون ذلك سنة 500هـ.

غير أن هذه الوضعية قد تغيرت في عهد علي الذي كان ميالا أكثر الى مشاورة فقهاء الاندلس الذين اشتد نفوذهم في هذه الفترة، وأصبح يأخذ برأيهم في كل كبيرة وصغيرة حتى سيطروا على زمام الدولة فيما بعد وعندما وصلت كتب الغزالي الى المغرب والاندلس وفي مقدمتها

[1] حسن أحمد محمود: قيام الدولة المرابطية، مرجع سابق، ص: 429.
[2] ابن غذاري المراكشي: مصدر سبق ذكره، الجزء4، ص: 59.
[3] ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، الجزء6، منشورات دار الكتاب اللبنانية للطباعة والنشر، بيروت، 1971، ص147.

كتاب احياء علوم الدين احتج الفقهاء وافكروا كثيرا من المسائل التي وردت في هذا الكتاب وزعموا أنها مخالفة للدين، وكان أبو قاسم عبد الله محمدن حمدين قاضي قرطبة أشد هؤلاء مبالغة، في ذلك، حيث قال "بتكفير كل من قرأ هذا الكتاب" وأوصل أبو القاسم الامر الى علي بن يوسف، فأجمع على مصادرة الكتاب و احراقه حيث استمرت هذه المطاردة لكتاب احياء الدين وباقي كتب الغزالي طوال أيام المرابطين.

أما الحدث الثاني هو ثورة أهل قرطبة برئاسة أبو جعفر أحمد بن حمدين على اليهود اثر مقتل أحد المسلمين مما أوقد نار الحرب بين اليهود والمسلمين، كما أن أهالي اشبيلية ثاروا ضد قاضيها أبي بكر بن العربي الذي كان متشددا في أحكامه، وفي نفس العام وقع حدث مروع بجامع قرطبة وهو مصرع قاضيها أحمد بن خلف التجيبي، ان هذه الاحداث كانت تحمل في ثناياها عوامل أخطر وأبعد مدى، حيث كانت أول ثورة علنية ضد الحكم المرابطي الذي لم يعد يستطيع أن يتحكم في المناطق البعيدة عن مركز السلطة، الاندلس، التي كانت تعاني من ضغط الحكم العسكري. ومن التزمت الديني ومن معاملات البربر الجافة لباقي الشعوب، وعلى اثر هذه الاحداث بادر علي بن يوسف الى الاندلس لاخماد نار الثورة.

أما الحدث الثالث: فهو ظهور عصبية جديدة تمثلت في قبيلة مصمودة بتنمل، بزعامة محمد المهدي بن تومرت الذي وجد الجو حاليا ليمسك بزمام الحكم، فكانت حركته مناقضة للمذهب المالكي، وكذلك كانت ترى في الدولة المرابطية دولة فاسدة يجب القضاء عليها، وهكذا عمل ابن تومرت على تحريض الناس عليهم وشن الغارات من كل جانب حتى استولى على جل المناطق الى أن وصل العاصمة مراكش، التي سقطت في يده بعد محاصرتها عدة مرات.

انحلال الدولة في نظر ابن خلدون يأتي نتيجة لتدهور عصبيتها، و الانغماس في الملذات حيث يقول:" ان عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال الجيل الاول لم يزل على خلق البداوة...الجيل الثاني تحول حالهم بالملك و الترفع من البداوة الى الحضارة....أما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة و الخشونة ويبلغ فيهم الترف غايته....وتسقط العصبية بالجملة"[1]

*** المراجع**

ابن أبي زرع الفاسي: الانيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط.

الادريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحمودي): نزهة المشتاق في اختراق الافاق، الجزء الخاص بالقارة الافريقية وجزيرة الاندلس، تحقيق اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي): صورة الارض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979.

ابن خلدون (عبد الرحمان):

المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984.

[1] ابن خلدون: المقدمة، الدار التونسية للنشر، تونس المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984، ص ص: 170،171.

كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر، الجزء6، منشورات دار الكتاب اللبنانية للطباعة والنشر، بيروت، 1971.

مجهول (مؤلف اندلسي من أعل القرن 8ه): الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكام وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1979.

المراكشي (عبد الواحد بن علي التميمي): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان، ط7، دار الكتاب، الدار البيضاء،1978.

الناصري (أحمد بن خالد): الاستقصاء في أخبار المغرب الاقصى، تحقيق محمد عثمان، دار الكتاب العلمية الجزء2، الطبعة الاولى، بيروت، 2007.

- النويري (أحمد بن عبد الوهاب): نهاية الارب في فنون الادب، تحقيق وتعليق أبو ضيف أحمد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985.

-ابن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب، ج4، تحقيق احسان عباس، دار الثقافة، ط3، بيروت، 1983.

أحمد محمود(حسن): قيام الدولة المرابطية صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة،1957.

حركات (ابراهيم): المغرب عبر التاريخ، الجزء 1، الطبعة1، دار السلمي، الدار البيضاء، 1965.

حسن (حسن ابراهيم): تاريخ الاسلام الديني والسياسي، الاجتماعي والثقافي، الجزء الرابع، ط2، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، 1982.

ابن الشرقي حصري (أحمد): ارتسامات ومعطيات تاريخية حول مدينة مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش،1986.

السائح(حسن): الحضارة المغربية عبر التاريخ، الجزء1، دار الثقافة، الدار البيضاء،1975.

بن عبد الله (عبد العزيز): تاريخ المغرب العصر القديم والاوسط، مكتبة المعارف، الرباط